



الفصل الرابع عشر
التفكير والتحليل الأخلاقي

أ.د. جمال الجارالله
أستاذ طب الأسرة وأخلاقيات الطب
كلية الطب- جامعة الملك سعود
1442 هـ

التفكير والتحليل الأخلاقي

ما المقصود بإطار التحليل الأخلاقي (Ethical Framework)؟

عند مواجهة موضوع أو قضية ذات أبعاد أخلاقية ليس من السهل دائماً التوصل إلى حل سريع لها في اتجاه معين. ويتطلب هذا – خاصة مع تعقيد الحالات الأخلاقية – إلى النظر إلى هذه الحالات ضمن إطار أو بنية هيكلية معينة، أصطلح على تسميتها إطار أو بنية هيكلية (Framework).

والمقصود بالإطار هنا: منظومة من المبادئ والأفكار والمعتقدات والقيم يساعد على التخطيط لشيء ما أو لإتخاذ قرار ما.

وفي مجال التحلل الأخلاقي أو تحليل الحالات ذات الأبعاد الأخلاقية يمكن تعريفه بما يأتي:

"منظومة بنية هيكلية من المبادئ والأفكار والمعتقدات والقيم التي تساعد على النظر في القضايا الأخلاقية للمساعدة في اتخاذ قرار بشأنها".

لماذا نحتاج إلى هذا الإطار (البنية الهيكلية)؟

لتحليل الحالات والقضايا الأخلاقية واتخاذ قرار بشأنها، يحتاج من يقوم بهذا التحليل إلى عمق في فهم المبادئ والقيم الأخلاقية وقدرة في الربط بينها، كما يحتاج القدرة على معرفة تعارض المبادئ في القضية الأخلاقية الواحدة وكيفية الترجيح بينها.

ولا يتأتى هذا إلا من خلال بنية هيكلية منهجية، إضافة إلى ملكة النظر في القضايا الأخلاقية عموماً.

ومن شأن هذه البنية الهيكلية المنهجية أن تسهل عملية التحليل الأخلاقي وتجعله أكثر يسراً.

إن اتباع الخطوات التي يشتمل عليها أي إطار من هذه الأطر يساعد في استجلاء المشكلة أو المعضلة الأخلاقية وتحديد أبعادها ومن ثم التعامل معها، كما يساهم في وضع نسق واضح للتفكير في المشكلة الأخلاقية من خلال النظر في المبادئ والقيم الأخلاقية التي يمكن أن تكون لها علاقة بالمشكلة الأخلاقية.

ونظراً لبعض التعقيدات التي تطرأ عند النظر للمشكلة أو القضية أو المعضلة الأخلاقية، يصبح النظر لها من خلال إطار ذي نسق ومنهج أمراً في غاية الأهمية.

المكونات الرئيسية لإطار التحليل الأخلاقية:

ولدت كثير من هذه النماذج من الأطر في المدرسة الغربية حيث بين أيدينا مجموعة من النماذج تتفق في بعض أجزائها وتتباين في أخرى. ولأن الأخلاقيات مبنية على الفلسفة فإن هذه النماذج تعكس انتمائها لتلك الفلسفة.

وفي الجملة فإن المكونات الرئيسية لتلك الأطر هي كما يأتي:

- 1- تحديد المشكلة أو القضية الأخلاقية.
- 2- جمع المعلومات والحقائق حول القضية الأخلاقية.
- 3- تحديد الأطراف التي لها علاقة بالقضية الأخلاقية.
- 4- تحديد المبادئ الأخلاقية ذات العلاقة بالقضية الأخلاقية قيد البحث، وتحديد جوانب التوافق والتعارض أو التضاد بين هذه المبادئ.
- 5- وضع الخيارات الممكنة لحل المشكلة الأخلاقية، والتفكير في أيها يكون الخيار الأنسب.
- 6- اتخاذ القرار بشأن القضية الأخلاقية.
- 7- تقييم التجربة للاستفادة منها في المستقبل.

وتتنوع نماذج هذه الأطر بتنوع النظريات الفلسفية الأخلاقية السائدة في الغرب في الوقت الحاضر، كما يحتوي بعضها على النظر في الدساتير الأخلاقية والقوانين المهنية الطبية ووضعها في الاعتبار عند التحليل الأخلاقي.

ومع أن الفلاسفة الأخلاقيين لا يعترفون بالمرجعية للأخلاقيات، إلا أننا نجد أنهم يؤسسون علم الأخلاقيات على نظريات أخلاقية ويرجعون إليها.

وأفضل هذه النماذج هو ذلك الذي يحاول أن يكون شاملاً ويأخذ بعين الاعتبار أبرز النظريات الأخلاقية، نقول أبرزها لأنها متعددة، ومتضاربة ومتناقضة أحياناً.

ولسنا هنا بصدد ذكر كل هذه النماذج أو شرح مكوناتها وإنما يكفينا أن نركز على الجانب العملي في هذا الموضوع ونكتفي بنموذج أو اثنين.

وبين يدينا دراسة حديثة (2012م) قام مؤلفها بمراجعة مجموعة من هذه النماذج الإطارية للتحليل الأخلاقي واشتملت على دراسة إحدى عشر نموذجاً، ليقتراح نموذجاً، كما يرى – أكثر عملية وسهولة في التطبيق وأسماءه (Core – Value Framework) أي إطار القيم الأساسية إختصاراً

: Codes (I.e. Codes of professional conduct)	Co
: Regulations (i.e. Law and other stringent policies)	R
: Ethical Principles	E
: (the personal moral institutional values, believes or ideologies of the key stakeholders)	Values

صحيح أن هذا النموذج شامل لجوانب كثيرة في مجال التحليل الأخلاقي إلا أن تركيزه على الدساتير والقوانين قد يفقده شيئاً من قوته في المجال الأخلاقي الصرف، فالمعروف أن الدساتير والقوانين قد لا تكون بالضرورة متسقة مع المبادئ الأخلاقية بوضوح، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن القيم، كالقيم الشخصية أو قيم المؤسسات الصحية..

وعلى كل حال فهي محاولة من المؤلف أن يكون عملياً، ربما بعيداً عن تأثير النظريات الأخلاقية.⁽¹⁾

وهناك دراسة أخرى سابقة لهذه الدراسة، كانت عبارة عن مراجعة لأدبيات الموضوع، خلصت إلى تقسيم هذه النماذج إلى قسمين رئيسيين وهما:

1- النماذج المنبئية على التبرير Justification based models

2- النماذج المبنية على الواجبات Task-based models

وخلصت هذه الدراسة أيضاً إلى وضع نموذج مؤسس على هذه الأقسام محاولة الموازنة بين طرق النظر في القضايا الطبية والقضايا الأخلاقية وقسمها إلى معلومات، ومهارات ومواقف إلا أنه أكد أنه وسيلة للتعليم أكثر منه للتحليل الأخلاقي، وهو مقيد في هذا الباب دون شك.⁽²⁾

وفي نهاية المطاف هي محاولات لتسهيل عملية التحليل الأخلاقي خاصة بالنسبة للأطباء والعاملين الصحيين. ومن النماذج المشهورة جداً والمستخدمه على نطاق واسع، نموذج المبادئ الأربعة وهي:

1- الإستقلالية الذاتية (أو حرية الإختيار).

2- تحقيق المنفعة (أو المصلحة).

3- عدم الإضرار.

4- العدل (أو العدالة).

ولا شك أن هذه مبادئ قوية وذات أثر ولا يختلف على أهميتها العفلاء، لكن تطبيقها في التحليل الأخلاقي قد يواجه بعض الأشكالات، ذلك بأنها ليست شاملة لكل الاحتمالات التي ترد على المعضلة الأخلاقية.

القيمة التطبيقية للإطار:

لا شك أن التفكير والتحليل الأخلاقي ضمن إطار محدد افضل كثيرا من أن يكون التحليل مرسلأ بلا إطار، ويمكن للتفكير الأخلاقي من خلال إطار واضح أن يحقق الفوائد الأتية:

- التفكير المنطقي المتسلسل عند النظر في القضية أو المعضلة الأخلاقية.
- تحديد القضية أو المعضلة الأخلاقية بوضوح أكثر.
- شمولية النظرة واعتبار كل الجوانب التي لها علاقة في التفكير الأخلاقي في القضية التي يُنظر فيها.

Manson HM. The development of the CoRE-Values framework as an aid to ethical decision-making. *Med Teach*. 2012;34(4):e258-e268. doi:10.3109/0142159X.2012.660217.

Tsai TC, Harasym PH. A medical ethical reasoning model and its contributions to medical education. *Med Educ*. 2010;44(9):864-873. doi:10.1111/j.1365-2923.2010.03722.x.

- التركيز على القضية الأخلاقية وعدم الإنزلاق نحو التفكير في جوانب بعيدة أو ليس لها أهمية في النظر إلى القضية المطروحة.
- وضع نسق واضح للنظر في القضية الأخلاقية.

هل نحن بحاجة إلى نموذج مختلف؟

إن أهم ما يجب أن يتميز به أي نموذج للتحليل الأخلاقي أن يكون شاملاً لأبعاد القضية الأخلاقية، كما أن يكون انعكاساً واضحاً للنظرية أو النظريات الأخلاقية التي يبني عليها التحليل الأخلاقي من حيث الأصل.

ولأن النماذج التي بين أيدينا، وبالرغم من شمولية بعضها، هي انعكاس لنظريات محددة أو متباينة، يصبح من الضروري أن نبحث عن نموذج مختلف، يحقق الشمول، كما أنه يكون انعكاساً للنظرية الأخلاقية الإسلامية. ويمكن شرح ملامح النظرية الأخلاقية الإسلامية في النقاط التالية:

- 1- الجانب الإيماني التعبدي: فكل عمل مباح يقوم به المسلم، ويريد به وجه الله فهو عبادة تقربه إلى الله سبحانه وتعالى ويؤجر عليها: فالأصل تحقيق القصد التعبدي، كما أن الإيمان يدعو إلى فعل الخير وترك الشر وتحقيق المنفعة، ودفع الضرر.
- 2- مراعاة النصوص الشرعية في أي مسألة من المسائل، فما كان فيه نصاً قطعياً، وجب الإلتزام بالنص فلا اجتهاد مع النص كما هو معلوم.
- 3- تحقيق وحفظ مقاصد الشريعة الإسلامية.
- 4- تحقيق المصلحة.
- 5- دفع الضرر ورفعته.
- 6- تقدير المآلات.
- 7- حفظ الحقوق.
- 8- تحقيق واجب الرعاية.
- 9- قواعد وقيم وفضائل أخلاقية يجب مراعاتها.
- 10- حسن الخلق في التعامل مع الناس.
- 11- مراعاة القواعد الفقهية.

ومن هنا يتضح أننا بحاجة إلى نموذج مختلف، يمكننا من التحليل الأخلاقي على أسس إسلامية، إذا نحن أخذنا بعين الإعتبار كل الأبعاد التي ذكرناها عند حديثنا عن ملامح النظرية الأخلاقية الإسلامية آنفاً.

وهناك نموذج بين ايدينا وضع ملامحه الدكتور خالد الجابر⁽³⁾ يمكن أن يكون بداية لطرح نماذج أخرى أو نموذج أكثر شمولاً ويتلخص هذا النموذج في خمسة أسئلة وهي:

- 1- ما السؤال الاخلاقي أو الأسئلة الأخلاقية في المسألة؟ وتحديد محل الإشكال الحقيقي
- 2- ما المعلومات/المعطيات/ الاعتبارات/المرجحات التي ينبغي أخذها في الحسبان في المسألة؟
 - أطراف القضية
 - المعلومات الطبية عن الحالة/التصوير الطبي الدقيق للمسألة/ التشخيص،العلاج المتوفر،توقعات الشفاء(تطور الحالة)
 - العواقب والمآلات/ الأثر المترتب
- 3- ما المبادئ الأخلاقية والشرعية والقانونية التي تجب مراعاتها؟
 - حقوق أطراف المسألة وواجباتهم ورغباتهم أو وصاياهم.
 - المصالح والفساد
 - الحلال والحرام في المسألة/ النصوص/ الإعتبارات الشرعية.
 - ما تجب مراعاته من نظام الأخلاقيات/ القانون/ الأحكام القضائية.
- 4- ما الأقوال المحتملة في المسألة؟ ودليل كل قول ونقاشه، والرأي المختار في المسألة، وسبب الترجيح.
 - فتاوى العلماء في المسألة أو في ما يشبهها من المسائل.
 - أقوال علماء الأخلاق في المسألة/ ما الملحظ الأخلاقي في المسألة؟
- 5- ما الرأي المختار في المسألة، وسبب الترجيح؟ وما التصرف الصحيح في هذه الحالة تحديداً؟

وفي رأينا أن هذا النموذج يحتاج إلى شيء من التطوير ليصبح أكثر شمولاً، وأقل تعقيداً وهي مسألة ليست سهلة، لكننا سنحاول ذلك والله الموفق.

وهنا نود أن نفرق، باديء ذي بدء، بين نوعين من القضايا ذات الأبعاد الأخلاقية وهما:

- 1- **القضايا البسيطة**، وغير المعقدة التي يمكن أن يُطبق عليها مبدأ أو مبدئين اخلاقيين، دون أن يكون هناك تضارب أو تصادم، أو أنها محسومة شرعاً بنص شرعي بالتحليل أو التحريم. وهذه لا إشكال فيها. ومن أمثلتها: القتل الرحيم، حيث لا يجوز التعدي على حياة الإنسان إلا بموجب شرعي، حتى لو رضى هو بذلك.
- وقد يتحول هذا النوع من القضايا إلى قضايا معقدة نوعاً ما عندما لا يكون الإجابة على السؤال الأخلاقي مباشرة وسهلة، مثلاً عند تصادم المبادئ الأخلاقية.
- 2- **القضايا المعقدة**، والتي تتعلق غالباً بالنوازل الطبية التي لم يُعرف لها حكم من قبل، أو حتى القضايا التي يُعرف فيها حكم سابق، لكن طبيعة الموقف تتطلب مراعاة مبادئ شرعية وأخلاقية كثيرة، ولا يمكن التحليل الأخلاقي من خلال مبدأ واحد أو مبدئين.
- ومعظم القضايا التي يُثار حولها الخلاف وتتباين حولها وجهات النظر هي من هذا النوع ومن هنا بنيت كثير من أطر التحليل الأخلاقي على هذا الأساس.

³ الجابر، خالد.محاضرة لم تنشر.

ويمكن إعادة تأطير النموذج الإسلامي كما يأتي:

أولاً: جمع المعلومات والحقائق ويشمل ذلك:

- التصوراو التصوير الطبي الدقيق للمسألة
 - الآثار والمآلات المترتبة عليها عند التدخل أو عدم التدخل – الأطراف المتأثرة بالقضية -.
- ثانياً: تحديد السؤال الأخلاقي أو القضية الأخلاقية بوضوح.

ثالثاً: المبادئ الشرعية والأخلاقية ذات العلاقة بالقضية المطروحة ومدى تطبيقها ويشمل ذلك:

- (1) النصوص الشرعية.
 - (2) مقاصد الشريعة الإسلامية.
 - (3) المصالح والمفاسد.
 - (4) القواعد الأخلاقية.
 - (5) الحقوق والواجبات.
- رابعاً: الخيارات المتاحة، مع مراعاة: الأنظمة والقوانين والفتاوى والأحكام القضائية.

خامساً: اتخاذ القرار المناسب حسب الراجح.

سادساً: تقييم التجربة للاستفادة منها مستقبلاً.